ولم يصور معركة عسكرية تثير الإعجاب ، بل نقل الرعب إلى كل من يتأمل اللوحات .

وقال المؤرخون إن جويا كان يحمل مصباحه ليلا ويخرج إلى ساحة القتال بعد انتهاك المعارك يفتش جثث القتلى والجرحى ويرسم أفرادا لا مجموعات ليعكس عذاب وآلام صاحب الصورة، وتخيل رعب المشاهد الذى يراها بعد ذلك فى متحف « برادو » فى مدريد .

وقالوا أن فنه ـ بعد صممه ـ يعتبر فنا أسود .

وكان السؤال :

ـ لماذا تغير الفنان ؟

كان الجواب الأول :

ـ أصبح أصم تماما ، يشك فى كل الناس ، ولا يثق بأحد . صار أسود القلب ، وانعكس ذلك على يده وهى ترسم ، أو أصيبت يده وفنه بعدوى السواد .

وكان هذا هو التفسير النفسى للفن .

ولكن التفسير الطبى شىء آخر . . جديد .

●●●

حدث يوما أن كسرت العربة التى يستقلها جويا أثناء رحلة جبلية فنزل يساعد السائق فى عملية الإصلاح .

وكانت النتيجة حمى تركت آثارها فيه .

وهذا هو التفسير الطبى الأول المباشر .

وقدم التفسير الثانى أطباء تخصصوا فى علاج الرسامين هذه الأيام . إنه يعد الألوان ويمزجها .

ويطحن بنفسه الرصاص الأبيض ويضيفه للألوان مما أعطى لوحاته ذلك البريق الذى اشتهرت به .

وهو يرسم بسرعة فى طوفان هادر . . أنهى لوحة زوجته فى ساعة . ورسم ملك أسبانيا فرناندو فى جلستين .